المؤتمر العلمي الدولي الأول

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

بلاغة القرآن الكريم وحسن بيانه"

عند الإمام محمد الخَضِر حسين :"ت١٣٧٧هـ "

في كتابه " بلاغة القرآن"

بحث مقدم من د/ ساميه محمد محمد علي

مدرس بقسم البلاغة والنقد

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بسوهاج

ساميه محمد محمد علي الصفحة ٤٧٢
ت: ٠١١١١١٧١٢١٤
البريد الإلكتروني: maher ebed80@gmail.com

ملخص البحث:

القرآن الكريم كتاب الله العظيم، والمعجزة الخالدة إلى يوم الدين، والنور المبين أنزله –جلّ جلاله– على خاتم النبيين؛ ليكون هاديًا ومرشدًا٠

وبعد: إن بحوث الإمام محمد الخضر حسين– رحمه الله تعالى– في القرآن الكريم هي عمل كاتب صادق، خاض في كل ميادين العلم، وصال فيها وجال، فهو كاتب محقق مدقق، وبليغ محلق، وله في كتاب الله العزيز فرائد جمة، فيها علم غزير وحسن بيان٠

وتنقسم الدراسة إلى مقدمة بينت فيها أهمية البحث الكامنة في الكشف عن وجوه بلاغة القرآن الكريم وحسن ٤٧٢بيانه وفصاحة ألفاظه وإحكام نظمه ودلالته على المعنى دلالة وافية، والمنهج المتبع في هذه الدراسة، وهو المنهج الوصفي، وثلاثة مباحث هي:(١) التعريف بالإمام محمد الخضر حسين– رحمه الله تعالى– وآثاره العلمية، (٢) عرض ملخص لكتابه" بلاغة القرآن"، (٣) منهج الإمام محمد الخضر حسين– رحمه الله تعالى– في كتابه" بلاغة القرآن" ونقده للانحرافات في تأويل القرآن، ثم خاتمة فيها أهم نتائج البحث وتوصياته٠

الكلمات المفتاحية: بلاغة القرآن الكريم وحسن بيانه" في كتاب" بلاغة القرآن" للإمام محمد الخضر حسين٠

مقدمة

القرآن الكريم كتاب الله العظيم، والمعجزة الخالدة إلى يوم الدين، والنور المبين أنزله –جلّ جلاله– على خاتم النبيين؛ ليكون هاديًا ومرشدًا.

وبعد: إن بحوث الإمام محمد الخَضِر حسين– رحمه الله تعالى– في القرآن الكريم هي عمل كاتب صادق، خاض في كل ميادين العلم، وصال فيها وجال، وعلى الرغم من ذلك لم يحظ بعناية الباحثين والدارسين؛ لذا جاءت هذه الدراسة لتكشف الغطاء عن كتابه" بلاغة القرآن" عن طريق استعراض ما فيه من فرائد القرآن الكريم وحسن بيانه.

أهمية البحث: تكمن في الكشف عن وجوه بلاغة القرآن الكريم وحسن بيانه وفصاحة ألفاظه وإحكام نظمه ودلالته على المعنى دلالة وافية.

منهج البحث: اتبعت المنهج الوصفي القائم على الاستقراء؛ للوقوف على أسرار بلاغة القرآن الكريم وحسن بيانه في كتاب" بلاغة القرآن" للإمام محمد الخَضِر حسين –رحمه الله تعالى–

خطة البحث:

وتنقسم الدراسة إلى مقدمة بينت فيها أهمية البحث والمنهج المتبع في هذه الدراسة، وهو المنهج الوصفي، وثلاثة مباحث هي:[١]التعريف بالإمام محمد الخضر حسين– رحمه الله تعالى– وآثاره العلمية[٢]، عرض ملخص لكتابه" بلاغة القرآن"،[٣] منهج الإمام محمد الخَضِر حسين– رحمه الله تعالى– في كتابه" بلاغة القرآن" ونقده للانحرافات في تأويل القرآن، ثم خاتمة فيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

المبحث الأول– التعريف بالإمام محمد الخَضِر حسين– رحمه الله تعالى– وآثاره العلمية:

مولده ونشأته:

من الأعلام الذين برزوا في النصف الأول من القرن العشرين الشيخ محمد الخَضِر حسين- رحمه الله تعالى- فقد كان له اليد الطولى في إصلاح الفكر الديني، واسمه: محمد الأخضر بن الشيخ الحسين بن علي بن عمر الشريف، يرجع نسبه إلى أسرة جزائرية عريقة في الدين والعلم والشرف، ويرتفع نسبها إلى الأمراء الأدارسة بالمغرب، كما يعود أصل الأسرة إلى جنوب الجزائر[١].

ولد الشيخ محمد الخَضِر حسين- رحمه الله تعالى- في بلدة نفطة يوم ٢٦ رجب سنة ١٢٩٣ه، ١٨٧٣م، ونشأ على مبادئ الورع والتقوى والعلم، وحفظ القرآن الكريم منذ صغره على يد شيخه عبد الحفيظ اللموشي، كما تعلم العلوم العربية والشرعية[٢]، ونظم الشعر، وهو في الثانية عشرة من عمره[٣].

وفي سن الثالثة عشر من عمره انتقل مع عائلته إلى تونس العاصمة؛ لتلقي العلوم بجامع الزيتونة، فنبغ فكريًا، ونهل التراث العلمي من أمهات الكتب، وتطوع لإلقاء الدروس في جامع الزيتونة.[٤]

---

[١] وقد أبدل اسمه -فيما بعد- إلى محمد الخَضِر بناء على اقتراح محمد الطاهر بن عاشور.ينظر محمد الخَضِر حسين شيخ الأزهر الأسبق، تأليف: أبو القاسم محمد كرو، دار المغرب العربي، تونس، طـ: أولى سنة ١٩٧١ م، ص ١٢.

[٢] ينظر: الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، ح: علي رضا الحسيني، ط الأولى سنة ١٤٣١ه، ٢٠١٠م، (١٥ / ٤٠).

[٣] ينظر: ديون خواطر الحياة ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، ح: علي رضا الحسيني، ط الأولى سنة ١٤٣١ه، ٢٠١٠م، (٧ / ٦).

[٤] ينظر: السعادة العظمى ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، ح: علي رضا الحسيني، ط الأولى سنة ١٤٣١ه، ٢٠١٠م، (١٢/ ٤٦).

مؤلفاته: جُمعت في موسوعة أعمال كاملة تضم خمسة عشر مجلدًا صدرت طبعتها الأولى عن دار النوادر في دمشق وبيروت سنة ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م، وفيها العلوم الشرعية من تفسير وفقه ودعوة وتربية في مؤلفات عديدة.

تولى الشيخ محمد الخَضِر حسين- رحمه الله تعالى-مشيخة الأزهر الشريف في سنة ١٣٧١ه، ١٩٥٢م، ثم استقال في ١٩٥٤ م، وفاته: توفي بعد أن جاوز الثمانين سنة ١٣٧٧ه، ١٩٥٨م، وصُلي عليه في الجامع الأزهر، ودفن بالقاهرة[١].

الشيخ محمد الخَضِر حسين- رحمه الله تعالى من علماء الأزهر الشريف غير المصريين الذين تولوا مشيخته؛ مما يبرهن على أن الأزهر الشريف يرحب بالتأثير والتأثر والتلاقي الفكري بين علماء الأرض قاطبة، كما أن لهذا العالم الجليل أثره البين والواضح في كتابه" بلاغة القرآن" في الدفاع عن بلاغة القرآن الكريم وإعجاز بيانه والتصدي للانحرافات في تأويل القرآن بكل ما أوتي من قوة وعلم.

المبحث الثاني- عرض ملخص لكتابه" بلاغة القرآن"

ذكر الإمام محمد الخَضِر حسين- رحمه الله تعالى- مقدمة في كتابه عن "بلاغة القرآن[٢]" تحدث فيها عن دعوة الإسلام والبراهين الصادقة لكونها دعوةَ حق، ولسانَ صدقٍ، وأقوى هذه البراهين دلالة القرآن الكريم الذي نزل به الروح الأمين

---

[١] ينظر: الذكرى الخمسين لوفاة العلامة التونسي محمد الخَضِر حسين، تأليف: محمد مواعدة ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، ح: علي رضا الحسيني، ط الأولى سنة ١٤٣١ه، ٢٠١٠م،(١٥/ ١٩٦).

(٢) مجلة الهداية الإسلامية الجزء التاسع من المجلد العشرين الصادر في شهر ربيع الأول ١٣٦٧هـ.

على خاتَم النبيين، ولو لم تقترن الدعوة الإسلامية إلا به لكان كافيًا في إقامة الحجة على أنها الرسالة الشاملة الخالدة.

وللبحث في إعجاز القرآن الكريم نواحٍ كثيرة اتجه إليها المفسرون وعلماء البيان بتفصيل فكشفوا عن كثير من أسرارها، ووضعوا أيديهم على جانب عظيم من حقائقها، والناحية التي يتحدث عنها الإمام في هذا الكتاب هي: ناحية بلاغته وحسن بيانه

المتمثلة في بلاغة القول بفصاحة ألفاظه[١] وسهولة جريانها على اللسان وخفة وقعها على السمع وأن يألفها الذوق غير ناب عنها وأن تكون موافقة لقياس العرب[٢].

ومن جوانب إعجاز القرآن الكريم إحكام نظمه بأن تقع كل كلمة منه موقعها اللائق بها؛ بحيث تكون كلماته متناسبة يأخذ بعضها برقاب بعض، وأن تكون دلالته على المعنى دلالة وافية بأن يؤدي اللفظ صورً المعاني التي يقصد المتكلم البليغ إفادتها للمخاطبين على وجه أكمل[٣].

" وقد يخطر على بالك أن في القرآن آياتٍ مشكلة أو متشابهة، والحق الذي لا

---

[١]"أما فصاحة المفرد، فهي خلوصه من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي"، "وأما فصاحة الكلام: فهي خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحتها." الإيضاح في علوم البلاغة، المؤلف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق(المتوفى: ٧٣٩هـ) (٢١/١، ٢٨)، ت: محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: دار الجيل– بيروت، الطبعة: الثالثة.

(٢) ينظر: بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، ح: علي رضا الحسيني، ط الأولى سنة ١٤٣١ه، ٢٠١٠م، (٢/ ٥).

(٣) ينظر: بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/ ٧ ، ٨)

مرية فيه: أن لا إشكال في القرآن عند من يتدبره برويّة ويأتي إلى التفقه فيه، وقد تزود بقوانين لغة العرب، واستضاء بمعرفة فنون بيانها" (١).

ثم تحدث الإمام محمد الخَضِر حسين- رحمه الله تعالى- عن " نقل معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية(٢)، وقال يرجع النظر في هذا المبحث إلى مقامين: المقام الأول- قراءة ترجمة القرآن في الصلاة، والمقام الثاني- نقل معاني القرآن ؛ ليطلع عليها أهل ذلك اللسان لعلهم يهتدون.

ثم تحدث الإمام محمد الخَضِر حسين- رحمه الله تعالى- عن" رأي في تفسير القرآن"(٣)، ذكر الإمام أن التفسير ينقسم إلى صنفين: تفسير يستند إلى الآثار المنقولة عن السلف، ويسمى التفسير بالمأثور، وتفسير يستند إلى فهم علماء اللغة والبلاغة، ويسمى التفسير بالرأي، وفي كل من الطريقتين علم غزير يقدره المنصف البصير، ولكنهما لم يخلوَا من مآخذ يجب على الناظر في التفسير الاحتراس منها.

ثم تحدث الإمام محمد الخَضِر حسين- رحمه الله تعالى- عن "أمثال القرآن الكريم"(٤).

وذلك لما لها من أثر بليغ في تلقي الدعوة بالقبول؛ لذلك أحرزت بين الأساليب التي يتحراها القرآن في هدايته منزلة سامية، فتحدث الإمام عن معنى المثل،

---

(١) بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/ ٨)

(٢) مجلة" نور الإسلام" الجزء الثاني من المجلد الثاني الصادر في شهر صفر ١٣٥٠هـ.

(٣) مجلة " لواء الإسلام" العدد الخامس من السنة الأولى الصادر في شهر المحرم ١٣٦٦هـ تشرين الثاني، نوفمبر ١٩٤٧م.

(٤) مجلة الهداية الإسلامية الجزء الثالث من المجلد السادس عشر الصادر في شهر رمضان ١٣٦٢هـ.

وتحقيق معنى المثل في القرآن، والنظر في كلام من بحثوا في أمثال القرآن، وفي استعمال القرآن لكلمة مثل، والآيات الجارية مجرى الأمثال، وفوائد ضرب الأمثال، وبيان الحكمة من ضربه(١).

المثل في اللغة: "المِثْلُ، بالكسرِ والتحريك وكأَميرٍ: الشِّبْهُ."(٢)، وقيل: المثل الشأن الغريب، والقصة العجيبة(٣)، كما في قوله تعالى: (مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقون فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ) (٤)، وفي ذلك يقول سعد الدين التفتازاني: ولكون المثل مما فيه غرابة، استعير لفظه للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن غريب، ونوع غرابة، ومثل بالآية السابقة، فالمراد بالمثل فيها أي فيما قصصنا عليكم من العجائب قصة الجنة العجيبة(٥)، وأفاض الإمام محمد الخَضِر حسين- رحمه الله تعالى- في تعريف المثل عند كل من اللغويين والمفسرين والبلاغيين(٦).

---

(١) ينظر: بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/ ٣١).

(٢) القاموس المحيط المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (ت: ٨١٧هـ)، ص: ١٠٥٦)، ح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

(٣) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي(ت: ١٢٠٥هـ)، (٣٠/ ٣٨١)، الناشر: دار الهداية.

(٤) سورة محمد آية ١٥ .

(٥) ينظر: المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تأليف العلامة سعد الدين التفتازاني(ت: ٧٩٢هـ)، ص: ٦٠٥، ح: د/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط:الثالثة، ٢٠١٣م.

(٦) ينظر: بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/ ٣١، ٢٣، ٣٣).

انتهى الإمام محمد الخَضِر حسين- رحمه الله تعالى- من مناقشته لآراء مَن تحدثوا عن "أمثال القرآن الكريم، وتوصل إلى تلك النتيجة التي أثبتها في كتابه" بلاغة القرآن" ضرب المثل في القرآن قد يستعمل في تمثيل حالة غريبة بأخرى مثلها عن طريق التشبيه أو الاستعارة أو القصة، وقد يستعمل في ذكر حالة غريبة تُقصدُ لنفسها، ولا يراد تمثيلها بنظيرة لها مما سماه القرآن قبل ذلك أو بعده مثلًا، بل ويعد في أمثال القرآن كل ما اشتمل على تمثيل حال شيء بحال آخر(١) كقوله تعالى:﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾(٢)، حيث صور حال مَن أشرك بالله تعالى بحال مَن خرّ مِن السماء فتختطفه الطير فيتفرق قطعًا في حواصلها، أو حال مَن عصفت به الريح فهوت به سريعًا في الأعماق السحيقة.

ثم تحدث الإمام محمد الخَضِر حسين- رحمه الله تعالى- عن الآيات الجارية مجرى الأمثال، وهو ما يسمى عند علماء البيان بالتذييل، وهو ضربان: ضرب لم يخرج مخرج المثل، وهو مالم يستقل بإفادة المراد، وضرب خرج مخرج المثل بأن تكون الجملة الثانية حكمًا كليًا منفصلًا عما قبله جاريًا مجرى الأمثال في الاستقلال(٣) وفشو الاستعمال؛ نحو قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾(٤).

ثم تحدث الإمام محمد الخَضِر حسين- رحمه الله تعالى- عن فوائد ضرب المثل:

---

(١) ينظر: بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/ ٣٧).

(٢) سورة الحج آية ٣١ .

(٣) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، (٣/ ٢٠٦،٢٠٧)،ح: محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: دار الجيل- بيروت، الطبعة: الثالثة.

(٤) الإسراء، آية: ٨١

فقال: يُضرب المثل لتقرير حال الممثَّل في النفس؛ حيث يكون الممثَّلُ به أوضح من الممثَّل، أو يكون للنفس سابقةُ أُلفةٍ وائتناس به، أو للترغيب في الممثَّل؛ حيث يكون الممثَّلُ به مما تستحسنه النفوس، وترغب فيه، أو على النقيض من ذلك؛ حيث يكون الممثَّل به مما تكرهه النفوس وتنفر منه، ويضرب المثل لمدح الممثَّلِ؛ حيث يكون في الممثَّل به صفات تستحسنها النفوس، وتمدح مَن يُحرز مثلها، أو على عكس ذلك فيضرب المثل للذم، ويضرب المثل في مقام الاحتجاج؛ حيث يلزم من تسليم الممثّل به وإدراك أن الممثّلَ مطابقُ له الرجوع إلى الاعتقاد بالحق، ومن بديع أسلوب القرآن في ضرب المثل: أن يسوق الجمل مستعملًا لها في معانيها الحقيقية قاصدًا بها غرضًا خاصًا(١).

ثم تحدث الإمام محمد الخَضِر حسين- رحمه الله تعالى- عن" المحكم والمتشابه في القرآن الكريم"(٢)، حيث تعرض لمعنى المحكم والمتشابه في القرآن، وأقوال العلماء في ذلك، ثم نبه على أنه يوجد آيات كثيرة وأحاديث قد يعدها بعضهم من قبيل المتشابه، وينبغي إخراجها من دائرة الاختلاف؛ حيث إنه يمكن فهمها على وجه صحيح لا كلفة فيه.

ورجح الإمام –رحمه الله تعالى- الرأي القائل بوجود آيات متشابهات في القرآن، أي غير واضحة الدلالة، فإما أن تصل إليها أفهام الراسخين في العلم بعد النظر، أو أن تصل إليها أفهام بعض منهم دون بعض، وفهمها إما أن يكون على وجه مفصل

---

(١) ينظر بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/ ٣٩ – ٤٤).

(٢) مجلة الهداية الإسلامية الجزء الحادي عشر والجزء الثاني عشر من المجلد الثامن عشر، الصادران في الجمادين١٣٦٥هـ، وهي محاضرة ألقاها الإمام لطلاب السنة الثالثة(تخصص المادة) بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر.

أو مجمل[١].

ثم تحدث الإمام محمد الخَضِر حسين- رحمه الله تعالى- عن" اليمين في القرآن والحديث[٢]"و" الرقية والاقتباس والاستخارة في القرآن[٣].

ثم تحدث الإمام محمد الخَضِر حسين- رحمه الله تعالى- عن" إعجاز القرآن وبلاغته" مقررًا أنّ القرآن وصل بالبلاغة[٤]- وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال- إلى أعلى مما وصل إليه بلغاء العرب، فتحداهم بقوله: ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾[٥]، وذكر كثيرًا من آيات القرآن التي جاءت بما نطق بمعناه العرب مثل قوله تعالى:﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[٦]، وقال العرب:

كُلُ اِبنِ أُنثى وَإِن طالَت سَلامَتُهُ يَومًا عَلى آلَةٍ حَدباءَ مَحمولُ[٧]

فما نطق به القرآن أوجز وأبلغ[٨]، فبلاغة الآية الكريمة من ناحية الإيجاز واضحة وضوح الشمس؛ إذ إنها مشتملة على أربع كلمات، ولك أن تقارن ذلك بقول الشاعر السابق وما اشتمل عليه من كلمات وحروف وإطناب، وتكمن بلاغة الآية في تصوير حتمية الموت، فهي حقيقة لا يماري فيها أحد، فالمشاهد

---

(١) ينظر: بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضر حسين، (٢/ ٥٢).

(٢) مجلة " لواء الإسلام" العدد التاسع من السنة التاسعة الصادرة في جمادي الأولى ١٣٧٥ه، ديسمبر ١٩٥٥م.

(٣) مجلة " لواء الإسلام" العدد السابع من السنة التاسعة الصادرة في ربيع الأول ١٣٧٥ه، نوفمبر ١٩٥٥م.

(٤) بلاغة الكلام هي: " مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته." الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني، مقدمة، ص: ١٩

(٥) سورة البقرة، آية: ٢٣

(٦) سورة آل عمران، آية:١٨٥

(٧) ديوان كعب بن زهير، تأليف: أبي سعيد السكري، ص ١١٤، دراسة: د/ مفيد قميحة ط: الأولى، سنة ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م،دار الشوّاف- الرياض- المملكة العربية السعودية.

(٨) راجع بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضر حسين، (٢/٦٧- ٧٢).

المحسوس أنه لا خلود البتّة، وصورت الآية الكريمة "الموت" بالطعام الذي يُتذوق، ثم حُذف المشبه به" الطعام"، ورمز إليه بإثبات لازمه" ذَائِقَةُ" للمشبه "الموت" على سبيل الاستعارة المكنية التخييلية؛ للإيجاز والمبالغة في شدة الموت وثقله على النفوس وتحقق اتصاله ولصوقه بالنفس حتى صار كالطعام الذي يتذوق باللسان، مما تلائم مع التعبير باسم الفاعل" ذَائِقَةُ"؛ لما فيه من دلالة على الثّبوت، وعدم التّجدّد، يعني الموت يقع في الدنيا مرّة واحدة٠

ثم تحدث الإمام محمد الخَضِر حسين- رحمه الله تعالى- عن" ترجمة القرآن"[١]، وعرض أراء العلماء في ذلك، ونبه على أن القرآن يراعي في حقيقته المعاني الأصلية مضمومًا إليها المعاني الثانوية التي هي وجوه بلاغته[٢]٠

ثم كتب مقالة -رحمه الله تعالى- بعنوان:(الفن القصصي في القرآن)[٣] نقدًا وردًا على(دكتور محمد أحمد خلف الله) في كتابه(الفن القصصي في القرآن)؛ حيث قرر فيه أن القصص في القرآن لوحظ فيه التصوير الفني دون الواقع التاريخي والصدق العقلي، فالدكتور (محمد أحمد خلف الله) في كتابه(الفن القصصي في القرآن) يوافق المستشرقين في أنّ بين قصص القرآن مالا يوافق الواقع التاريخي، غير أنّ المستشرقين يعللون هذه المخالفة بعدم معرفة محمد للتاريخ،

---

(١) مجلة " لواء الإسلام" العدد الثامن من السنة الرابعة الصادر في ربيع الثاني١٣٧٠ه، يناير ١٩٥١م٠

(٢) راجع بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، تحقيق: علي رضا الحسيني، ط الأولى سنة ١٤٣١ه، ٢٠١٠م،(٢/ ٧٣ - ٧٨)٠

(٣) مجلة الهداية الإسلامية العددان السابع والثامن من المجلد العشرين الصادران في محرم وصفر ١٣٦٧ه، والجزءان الأول والثاني من المجلد الحادي والعشرين الصادران في رجب وشعبان ١٣٦٧ه، وهو نقد كتاب" الفن القصصي في القرآن" للدكتور محمد أحمد خلف الله

والدكتور(محمد أحمد خلف الله) يعللها بأنه –عليه الصلاة والسلام– يسوق القصة غير معنيٍّ بالواقع التاريخي، ولا حريصٍ على صدقها العقلي، وإنما كانت وجهته التصوير الفني، والابتكار والاختراع، والتغيير والتبديل![١]؛ حيث يقول: ليس سببه جهل محمد بالتاريخ، بل قد يكون من عمل الفنان الذي لا يعنيه الواقع التاريخي[٢].

ثم ينقد وينقض الإمام محمد الخَضِر حسين– رحمه الله تعالى– ما ذهب إليه الدكتور(محمد أحمد خلف الله) مقررًا ما يجب أن يكون عليه المسلم الحق من الإيمان بأن القرآن مُنزّل من عند الله تعالى لا من صنع محمد –صلى الله عليه وسلم–، ويُنزه القرآن عن ذلك التصوير الفني الذي لا يُعنى فيه بالواقع التاريخي، وليس قصص القرآن إلا الحقائق التاريخية تصاغ في صور بديعة من الألفاظ المنتقاة، والأساليب الرائعة.[٣]

ثم تحدث الإمام محمد الخَضِر حسين– رحمه الله تعالى– عن(تحريف آيات الحدود عن مواضعها)[٤] ردًا على مقال عبد المتعال الصعيدي المنشور في صحيفة" السياسة الأسبوعية" العدد السادس، ٢٠ فبراير ١٩٣٧م، القاهرة، تحت عنوان:" التشريع المصري وصلته بالفقه الإسلامي"، أبدى فيه الكاتب رأيًا هو: أن

---

(١) راجع بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/ ١٣٣).

(٢) راجع الفن القصصي في القرآن، للدكتور محمد أحمد خلف الله ، ص٧٠– ١٩٧، ط: الرابعة، سنة ١٩٩٩م، لندن– بيروت– القاهرة.

(٣) راجع بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/ ١٣٣،١٣٤).

(٤) مجلة الهداية الإسلامية الجزء السابع من المجلد التاسع الصادر في محرم ١٣٥٦ه، مارس ١٩٣٧م.

الأمر في آية حد السرقة، وآية حد الزنا يحمل على الإباحة لا على الوجوب[١].

وذكر الدكتور محمد السيد حسين الذهبي مقال عبد المتعال الصعيدي الذي قال فيه:" " ٠٠٠ولكن يبقى بعد هذا في تلك الحدود ذلك الأمر الذى سنثيره فيها، ليُبحث في هدوء وسكون، فقد نصل فيه إلى تذليل تلك العقبة التي تقوم في سبيل الأخذ بالتشريع الإسلامي من ناحية تلك الحدود بوجه آخر جديد.. وسيكون هذا بإعادة النظر في النصوص التي وردت فيها تلك الحدود، لبحثها من جديد بعد هذه الأحداث الطارئة، وسأقتصر في ذلك – الآن – على ذكر ما ورد في تلك الحدود من النصوص القرآنية"[٢]، وذلك قوله تعالى في حد السرقة: ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أَيْدِيَهُمَا جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ الله والله عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ الله يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣] وقوله تعالى في حد الزنا:﴿الزانية والزاني فاجلدوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ الله إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بالله واليوم الآخر وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ المؤمنين﴾[٤].

تصدى الإمام محمد الخَضِر حسين– رحمه الله تعالى– للرد على ذلك الرأي وقام بتفنيده؛ لأن آيات حد السرقة وحد الزنا غير قابلة لذلك التأويل الذي لا يملك

---

(١) راجع بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/ ١٣٥)٠

(٢) التفسير والمفسرون، المؤلف: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي(ت: ١٣٩٨هـ)،(٢/٢٨٧، ٢٨٨)، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، راجع أيضًا انحرافات الحداثيين في تفسير آيات الأحكام، عرض ونقد: د/ فتحي سبّاق أبو سمرة عابد، ص: ٤٣٣، دار اللؤلؤة للنشر ٢٠٢١م٠

(٣) سورة المائدة، آية: ٣٨–٣٩

(٤) سورة[النور، آية ٢

أحد تغييره، ولا يصح لمن بيده إنفاذه أن يعدل عنه إلى عقوبة يضعها من نفسه، ومَن ينظر في آيات حد السرقة وحد الزنا مجردًا من كل هوى لم يفهم منها سوى أن من يرتكب السرقة عقوبته قطع اليد، ومن يرتكب فاحشة الزنا عقوبته الجلد، والأمر في تلك الآيات للوجوب القاطع(١).

ثم تحدث الإمام محمد الخَضِر حسين- رحمه الله تعالى- عن(كتاب يهذي في تأويل القرآن المجيد)(٢)، وهو نقد لكتاب (الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن)، تأليف محمد أبو زيد الدمنهوري، طبعة مصطفى الحلبي عام١٣٤٩ه، وهذا الكتاب وقع في كثير من الانحرافات في تأويل القرآن، كانحرافه في تأويله لآيات المعجزات، ودعوته إلى الخروج عن أحكام الشريعة، وإنكاره للجن والشياطين، وانحرافه في تأويل الملائكة، وإنكاره لأحكام معلومة من الدين بالضرورة، وزعمه أن المسلمين يروون الأحاديث النبوية عن اليهود.(٣)

ثم تطرق للبهائية وأسلافهم الباطنية الذين يضاهونهم في طريقة التأويل؛ لتقويض أصول الإسلام، وهم -كما يقول: " نفر يضعون على رؤوسهم بياضًا، ويحملون في صدورهم سوادًا لم يرسموا لأنفسهم نحلة دينية، وإنما هي الغوايةُ لعبت بعقولهم، وإكبار خصوم الدِّين الذي ران على قلوبهم؛ فانطلقوا إلى القرآن الكريم يؤولونه على ما يوافق شهواتهم، ويقضي حاجات في نفوس ساداتهم، يفعلون هذا ولا يرقبون في اللغة ذمة، ولا يرعون لسنَّة أفضل الخليقة حُرمة،

---

(١) راجع بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/ ١٣٧-١٤١).

(٢) مجلة نور الإسلام، العدد الثاني من المجلد الثاني الصادر في صفر١٣٥٠ه.

(٣) راجع بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/ ١٤٥-١٦٧).

وتراهم ينبذون ما يقرره أئمة العربية، أو أئمة الدين نبذًا لا يتكئ على دليل، ويطلقون ألسنتهم في هؤلاء الأئمة الذين خدموا الدين والعلم والأدب، وإنما يعرف فضلهم العالم الناقد النبيل"[١].

ثم شرع الإمام الخَضِر- رحمه الله تعالى- بعد ذلك في تفنيد تلك الآراء والتأويلات الباطلة فقرة فقرة، كما هي عادته في إيراد كلام المؤلف، ثم تعقَّبه في ذلك بكل قوة، وإنصاف معتمدًا في ذلك على أدلة الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة.

كذلك فعل الإمام الخَضِر- رحمه الله تعالى- في الرد على كتاب آخر، وهو كتاب (امرأتنا في الشريعة والمجتمع) لطاهر الحداد، فتناوله الإمام الخضر- بالنقد، وذلك في مقالة عنوانها (كتاب يلحد في آيات الله)[٢]، استهل مقالته بالحديث عن حقوق المرأة في الإسلام، ورفعة شأنها، ثم تحدث عن مَن "يزعمون أنهم أنصار المرأة، ويقولون- والجهل ضارب في أدمغتهم- إن الإسلام ظلم المرأة، ويذكرون: تعدد الزوجات، وجعل الطلاق في يد الرجل، وجعل نصيبها من الإرث نصف نصيب الرجل، ونحو هذه الأحكام مما قرره الإسلام، وعرفت العقول السليمة حكمتها، وموافقتها لما تقتضيه الحياة الراقية"[٣].

وقرر الإمام الخَضِر- رحمه الله تعالى- بطلان أقوال مَن "يزعمون أنهم أنصار المرأة، ويسلكون طريقة مخادعة الغافلين من المسلمين بتأويل نصوص الشريعة، وتحريف كلمها عن مواضعه، ويعملون على تقويض بناء الشريعة ليلًا

---

(١) بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/ ١٤٤).

(٢) مجلة نور الإسلام، العدد الثامن من المجلد الأول الصادر في شعبان١٣٤٩هـ.

(٣) بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (١٦٨، ١٦٩)

ونهارًا، ولقي هؤلاء ما يستحقون من إنكار وتفنيد لكل مزاعمهم التي منها مبدأ المساواة الاجتماعية بين المرأة والرجل لتطور الزمن، وجعل ميراث الأنثى مساويًا لميراث الرجل، على الرغم من الحِكم الواضحة فيما أوصى الله تعالى به من إعطاء الذكر مثل حظ الأنثيين، والعدالة التامة التي يرمي إليها الإسلام؛ حيث قرر على الرجل القيام بكل حاجات المرأة وما يرزقان من ولد، فمن العدالة التامة أن يكون حظ الرجل من الميراث أكثر من حظها، وهل في الأزمنة تطور يقتضي بطبيعته وضع نفقة الرجل وولده على عاتق المرأة ؟[١]، وأورد الإمام الخَضِر- رحمه الله تعالى- مزاعم هؤلاء، وقام بتفنيدها والرد عليها واحدة واحدة معتمدًا في ذلك على أدلة الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة.[٢]

كذلك فعل الإمام الخَضِر- رحمه الله تعالى- في الرد على (قصة أيوب- عليه السلام- ونقض أراء حديثه في تفسيرها)[٣]، عندما اطلع في إحدى المجلات التي تصدر في القاهرة على مقال تعرَّض فيه كاتبه لمفسري القرآن الكريم، وبالغ في نسبتهم إلى التقصير في التفسير، وساق ما فسروا به (قصة أيوب-عليه السلام-) مثالًا لذلك التقصير، وأورد وجوهًا زعم أنها تُبطل ما أجمعوا عليه من التفسير، وذكر تأويلًا للقصة مدعيًا أنه الصواب، وحمل الآيات على استعارات وكنايات بعيدة لا داعي إليها، ولا قرينة تساعد عليها، وقد أكثر من ذكر أني أكتب متأثرًا بالإسرائيليات، أو أكتب عن تقليد.

---

(١) راجع بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/ ١٦٩-١٧٥).

(٢) راجع بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/ ١٧٥ - ١٨٠)

(٣) مجلة الهداية الإسلامية الجزء العاشر، والجزء الثاني عشر من المجلد السابع لعام ١٣٥٤هـ، والأجزاء الثاني والثالث والرابع من المجلد الثامن لعام ١٣٥٤هـ.

وهذا لا يعود على البحث بجدوى، إنه سلك بتأويل هذه القصة مسلك من لا يراعي لحسن البيان حقًا، ولا للذوق العربي عهدًا، فيحمل آيات من القرآن الحكيم متتابعات على كنايات واستعارات لا تدخل إلى الآذان إلا كرهًا كما في قوله تعالى: ﴿ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾[١] مراد منه: توثيق العزم،﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾[٢] مراد منه: ذلك الركض،﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾[٣] هديناهم له،﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾[٤] معناه: لوَّح إليهم بالرياحين والأزهار، وفند الإمام الخَضِر- رحمه الله تعالى- ما ذهب إليه صاحب ذلك المقال معتمدًا في ذلك على أدلة الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة، والحق أن هذا القرآن لا يأتي هذا التعقيد، ولا تجد في آياته سلسلة كنايات واستعارات تبقى معانيها الأصلية محجوبة عن البلغاء كمعاني هذه الآيات في رأي كاتب ذلك المقال [٥].

فـ "الرَكْضُ": تحريكُ الرجل[٦]، و "المُغتَسَل": الْمَاءُ الَّذِي يُغْتَسل بِهِ[٧]، ومعنى الآية على ما يقتضيه وضع مفرداتها اللغوية: أن الله تعالى أمر أيوب-عليه

---

(١) سورة ص، آية: ٤٢ .

(٢) سورة ص، آية: ٤٢

(٣) سورة ص، آية: ٤٣

(٤) سورة ص، آية: ٤٤ .

(٥) راجع بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/ ١٨١ - ٢٧١)

(٦) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، مادة:[ر ك ض]، (٣/ ١٠٧٩)، ح: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، ط: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

(٧) "المُغتَسَل" والغَسُول: الْمَاءُ الَّذِي يُغْتَسل بِهِ " لسان العرب لابن منظور، (١١/ ٤٩٤)، الناشر: دار صادر – بيروت، ط: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

السلام- بتحريك رجله، وقولُه بعد الأمر بتحريك الرجل: ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ يشعر بأن هذا المغتسل البارد والشراب، وُجد بتحريك الرجل، وورود هذه الآية عقب إخبار الله بدعاء أيوب أن يعافيَه من المرض، أو يكفَ أذى الشيطان عنه، يدل على أن لهذا الركض صلةُ بحال استجابة دعائه(١).

ومعنى" هبة الأهل"(٢) جمعهم عليه بعد تشتت، ومعنى" هبة مثلهم": تناسل أهله بعد معافاته إلى أن بلغ عدد الفروع مقدار أصولهم، ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا

---

(١) راجع بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/ ١٨٣).

(٢) ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾ قيل: أنهم كانوا مرضى فشفاهم الله، وقيل: أنهم غابوا عنه فردهم الله عليه، وقيل: أنهم كانوا قد ماتوا، وهو ما عليه الجمهور، راجع تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة لمؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، (٨/ ٦٣٤)، ح: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، وتفسير الماوردي= النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، (٥/ ١٠٢)،ح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، وـ تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)،(٣/ ١٥٨)، ح: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م، تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)، (٥/ ٦٠٢) ، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى - ١٤١٦ هـ، وتفسير المراغي المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، (٢٣/ ١٢٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م

فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ، إذا احتفظنا بحمل الألفاظ على معانيها الحقيقية مع مراعاة طريقة القرآن في الإيجاز، قلنا: أن أيوب-عليه السلام- صدر منه يمين على أن يضرب بعض من له أن يؤدبه بالضرب أسواطًا معدودة، لسبب لم يسمه القرآن المجيد، ولما كان المعروف في موجب هذا اليمين أن يكون الضرب بالأسواط مفرقة، أرشده الله إلى طريق أخف من ذلك الطريق المعروف، وهو الضرب بضغث يجمع من الأعواد مقدار الأسواط المذكورة في اليمين(١).

المبحث الثالث- منهج الإمام محمد الخَضِر حسين- رحمه الله تعالى- في كتابه "بلاغة القرآن" ونقده للانحرافات في تأويل القرآن.

أولًا- عنايته بالإعجاز البياني للقرآن: فلقد عني عناية فائقة ببلاغة القرآن، وحسن بيانه المعجِز؛ حيث أبان أن بلاغة القول: أن تكون ألفاظه فصيحة، ونظمه محكمًا، ودلالته على المعنى منتظمة وافية، وأفاض في شرح ذلك، وأشار إلى وجوه بلاغة القرآن، وحسن بيانه المعجز، وبيَّن أن ذلك يكمن فيما يلي:

١- فصاحة مفردات القرآن: فلا تكاد تمر بك كلمة إلا وجدتَها محكمة الوضع، خفيفة الوقع على السمع.

٢- متانة نظمه: التي بلغت الغاية التي ليس وراءها مطلع.

٣- انتظام دلالته على ما يقصد إفادته وإحضاره في الأذهان: فإنك ترى فيه التشابيه الرائعة، والأمثال البارعة، والاستعارات الطريفة، والمجازات اللطيفة، والكنايات المنقطعة النظير، والتعريض الذي يقتضيه المقام، فيكون أقرب إلى حسن البيان من القول الصريح.

٤- استيفاؤه للمعاني: التي يستدعي الحالُ الإفصاحَ عنها أو الإيماء إليها؛ فإنك

---

(١) راجع بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/ ١٨٤).

تنظر في الآية، وتتدبر المعنى الذي سيقت من أجله، فتعود منها ويدك مملوءة من الفوائد التي تقع إليها؛ من حيث تُقَرِّر شريعة، أو تُقيم حجة، أو تلقي موعظة، أو تُرسل حكمة إلى نحو هذا مما تستبين به سبيلُ الرشد، وتنظم به شؤون الحياة، وترتفع به النفوس إلى أعلى درجات الفلاح في دنياها وآخرتها.

٥- تناسبه في حسن بيانه دون تفاوت أو تباين: فأنت ترى البليغ من البشر يحسن البيان، ويأخذ لبَّكَ بالمنشآت الرائقة حتى إذا طال به مجال القول، وقطع فيه أشواطًا واسعة- رأيت في جُمَله أو أبياته تفاوتًا في البراعة، وأمكنك أن تبصر فيها ضعفًا، وتستخرج بنقدك الصحيح من أواخر كلامه مآخذ أكثر مما تستخرج من أوائلها، ولكن القرآن الكريم -على طول أمده، وكثرة سوره- نزل متناسبًا في حسن بيانه، كما قال -تعالى-: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾(١)، ثم قال: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾(٢).

٦- صوغ الأقوال على قدر الحقائق: فمن المعروف أن القرآن أتى بحقائق أَسَّسَ بها شريعة واسعة النطاق، وليس من شأن هذه المعاني أن تظهر فيها براعة البلغاء كما تظهر فيما أَلَّفوه من نحو: المديح، والرثاء، والتهنئة، والغزل، وَوَصْفِ المشاهد إلى غير ذلك مما يطلقون لأفكارهم فيه العنان.

٧- خلوه من التصنع: ففي بلغاء البشر من تحس من شعره أو خطبته أو رسالته أنه لم يكن يتصنع فيما يقوله؛ ذلك أنك تجد في كلامه الجيدَ، والوسط، والرديء، وفيهم من تحس فيما يقوله التصنع، وهذا هو الذي يغلب على كلامه المنظوم أو المنثور الجودة في تصوير المعنى والتعبير عنه بكلام موزون، أو غير موزون،

---

(١) سورة الزمر، آية: ٢٣ .

(٢) سورة النساء، آية:٨٢ .

ولكن القرآن الكريم بالغٌ الغايةَ من حسن البيان، فلا يجد فيه الراسخ في نقد المنشآت البليغة ما ينزل عن الدرجة العليا، بل يحس روح البلاغة التي لا يحوم عليها شيء من التصنع سارية في آياته وسوره، سواء في ذلك تصويره للمعاني، أو نظم الألفاظ الناطقة بها.

٨- تكرار القصص في أكمل ما يكون من حسن البيان: فمن أعظم مظاهر بلاغة القرآن أنه يورد القصة في أوفى درجة من حسن البيان، ثم يعيدها في سورة أخرى على حسب ما يقتضيه مقام الوعظ حتى إذا عقدت موازنة بين حكايتها هنا وحكايتها هناك، وجدتهما في مرتبة واحدة من البلاغة لا تنزل إحداهما عن الأخرى بحال[١].

ثانيًا- شدة حرصه على عرض المسائل التي تتعلق بالقرآن الكريم خصوصًا ما كان يحتاج إلى دراسة، وتجلية، أو ما يحتاج منها إلى مزيد بحث وتحرير، مثل تعرضه لمسألة نقل معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية.

ثالثًا- دراسته لموضوعات وردت في القرآن الكريم: حيث تعرض لدراسة العديد من الموضوعات خصوصًا ما كان يحتاج إلى دراسة، وتجلية، أو ما يحتاج منها إلى مزيد بحث وتحرير مثل دراسته لأمثال القرآن الكريم، والآيات الجارية مجرى الأمثال، وفوائد ضرب المثل في القرآن الكريم[٢]، والمحكم والمتشابه في القرآن الكريم[٣].

رابعًا- كثرة استشهاده بالقرآن الكريم، ورجوعه إليه، فلا تكاد تجد له

---

(١) راجع بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/ ٥-١٠).
(٢) راجع بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/ ٣٠-٤٠).
(٣) راجع بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/ ٤٥-٦٠).

بحثًا، أو مقالة، أو محاضرة إلا وهو مُمَتَّعٌ بآيات الكتاب العزيز، وذلك في جميع ما يتناوله من موضوعات، وسواء كان ما يتناوله ردودًا، أو تعقيباتٍ، ويتخلل تلك الاستشهادات تنويه بالقرآن، أو توجيه لموضع الاستشهاد، أو تفسير لما يورده من الآيات، أو تصحيح لما يقع من خطأ في فهمها، ولعل أجلى ما في ذلك اعتماده القرآن مصدرًا أولًا في ردوده على مخالفيه؛ فالإمام- رحمه الله تعالى- كان يستند في ردوده أعظم ما يستند على القرآن الكريم إيمانًا منه بأنه المصدر الأول في التشريع الإسلامي، وأنه المرجع الأساس الذي يجب الاحتكام إليه٠

خامسًا-إبطال وتفنيد ما يذهب إليه المخالفون من الاستدلال بالقرآن على الباطل: وذلك كأن يورد أحدُ المخالفين آية من كتاب الله مستدلًا بها على باطل، أو مؤولًا لها على غير تأويلها الصحيح، أو أن يكون الاستدلالُ بها غيرَ ناهضٍ بالحجة التي يريد تأييدها، فيبطل الإمام ذلك كله، ويبين خطأ ذلك الاستدلال، أو التأويل، ثم يوضح معنى الآيةِ، والوجهَ الصحيحَ الذي يمكن أن يُستدل بالآية عليه، ويرشد إلى التأويل الحق، وهذا ظاهر جلي في أكثر ردوده مثل رده على دكتور طه حسين في (حقيقة ضمير الغائب)٠

سادسًا- مواجهته للانحرافات في تأويل القرآن: خصوصًا تلك التأويلات التي تنحو منحى التأويل الباطني، والتي لا تستند إلى شرع، ولا عقل، ولا عُرف، ولا لغة؛ فهي تأويلات لا تتصل بمدلول الألفاظ، ولا بمفهومها، ولا بالسياق القرآني، بل هي مخالفة للنص القرآني تمامًا، يؤولون كتاب الله على ما يوافق شهواتهم، ويقضي حاجات في نفوس ساداتهم؛ لتأييد شذوذ أصحابها، وغاياتهم في الصدِّ عن كتاب الله ودينه، ولقد تصدَّى الإمام الخَضِر- رحمه الله تعالى- لتلك

التأويلات بما يستطيع من قوة؛ فتصدى لتأويلات البابية، والبهائية، والقاديانية[١].

سابعًا: نقضه لآراء حديثة في تفسير القرآن، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره في مقالات عنوانها (قصة أيوب- عليه السلام- ونقض آراء حديثة في تفسيرها عندما اطلع في إحدى المجلات التي تصدر في القاهرة على مقال تعرَّض فيه كاتبه لمفسري القرآن الكريم، وبالغ في نسبتهم إلى التقصير في التفسير، وساق ما فسروا به (قصة أيوب -عليه السلام-) مثالًا لذلك التقصير، وأورد وجوهًا زعم أنها تُبطل ما أجمعوا عليه من التفسير، وذكر تأويلًا للقصة مدعيًا أنه الصواب، وحمل الآيات على استعارات وكنايات بعيدة لا داعي إليها، ولا قرينة تساعد عليها، ووقف الإمام الخَضِر رحمه الله تعالى- في هذا المقال على آراء لا تدخل تحت قوانين المنطق، وأخرى لا تتقبلها بلاغة القرآن، فأرادّ تنبيه طلاب العلم لما في تلك الآراء من نشوز؛ حتى يكونوا على بينة من أمرها[٢].

ثم شرع في بيان المعنى الحقيقي لقصة أيوب - عليه السلام- وأن القرآن يكتفي من القصة بذكر موضع العبرة، وأنه لم ينزل ليكون كتاب تاريخ، وبعد ذلك شرع في مناقشة آراء صاحب المقال بأسلوب علمي رصين هادئ.

كذلك فعل الإمام الخَضِر- رحمه الله تعالى- في الرد على كتاب آخر، وهو كتاب (امرأتنا في الشريعة والمجتمع) تأليف: الطاهر حداد، فتناوله الشيخ الخضر- بالنقد، وذلك في مقالة عنوانها (كتاب يلحد في آيات الله)، وقرر الإمام الخَضِر- رحمه الله تعالى- بطلان أقوال مَن "يزعمون أنهم أنصار المرأة، ويسلكون طريقة مخادعة الغافلين من المسلمين بتأويل نصوص الشريعة، وتحريف كلمها عن

---

(١) راجع بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/ ١٤٣-١٤٤).

(٢) راجع بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/ ١٨١).

مواضعه معتمدًا في ذلك على أدلة الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة[١].

ثامنًا- تعظيمه للقرآن الكريم، وإثباته أنه كلام الله، واعتقاده عصمته: يقول الإمام الخَضِر- رحمه الله تعالى- في معرض ردِّه على الدكتور محمد أحمد خلف الله في رسالته:(الفن القصصي في القرآن): "قد قام الدليل القاطع على أن القرآن كلام الله، وأن رسوله محمدًا – صلى الله عليه وسلم- قد بلّغ ما أنزل إليه من ربه، فكل ما جاء في القرآن من خبر فهو صادق، وإنما الصدق مطابقة الكلام للواقع، ونستند في الجزم بصدق أخبار القرآن إلى الدليلِ القائم على صدق الرسول في دعوى الرسالة، والدليل القائم على أن القرآن وحي من الله – جل شأنه-[٢].

تاسعًا- أنه كتب كتابه" بلاغة القرآن" بلغة عالية جزلة واضحة؛ ولا غرو في ذلك؛ فالمؤلف من أرباب البيان.

عاشرًا- أنه كان يميل إلى الإيجاز، والبعد عن الحشو والتطويل في إيراد الأقوال؛ فتراه لا يستقصي، ولا يُفَصِّل، ولعل الحامل له على ذلك أن كتابه كان -في أصله- مقالاتٍ أو محاضرات، وذلك المقام لا يسمح بالاستقصاء.

الحادي عشر- عنايته بجناب التوحيد، وتحذيره من الشرك ومظاهره المعاصرة.

الثاني عشر- تَعَرُضه لبعض المسائل الفقهية كما في حديثه عن اليمين ، وأقسامه، وحكم كل قسم[٣].

الثالث عشر- أنه أفاد من المصادر الأصلية في تفسير القرآن وعلومه، والحديث وعلومه، واللغة، والنحو والأدب.

---

(١) راجع بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/ ١٦٨-١٨٠).

(٢) بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/١٢٣، ١٢٤).

(٣) راجع بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة، للإمام محمد الخَضِر حسين، (٢/٥٤-٦٠).

الرابع عشر- مراعاته للسياق في فهم وتفسير آيات القرآن الكريم، و كثافة المادة النحوية عنده، وحرصه على استخراج الأسرار اللغوية.

الخامس عشر- الأمانة العلمية والإشادة بجهود المفسرين والبلاغيين السابقين بعرض آرائهم والدفاع عنها والانتصار لهم ضد مَن يحاولون الانتقاص من جهودهم.

الخاتمة

ومن أهم نتائج هذا البحث: فضل الإمام محمد الخضر حسين- رحمه الله تعالى- في كتابه " بلاغة القرآن" المتمثل في كشفه الغطاء عن بعض أسرار إعجاز القرآن الكريم من جهة بلاغته وحسن بيانه، ومن أسرار إعجاز القرآن الكريم التي وضحها الإمام بلاغة القول التي يُشترط لصحتها فصاحة ألفاظه وإحكام نظمه، وأن يكون القول دالًا على المعنى دلالة تامة وافية؛ فيؤدي اللفظ صورَ المعاني التي يقصد المتكلم البليغ إفادتها للمخاطبين على أكمل وجه، ومن أسرار بلاغة القرآن الكريم أنه يورد القصة في أكثر من موضع على حسْب ما يقتضيه السياق ويتطلبه المقام، وفي كل موضع تكون في أوفى وأعلى درجة من حسن البيان.

وتصدي الإمام محمد الخضر حسين- رحمه الله تعالى- ومواجهته للانحرافات في تأويل القرآن بكل ما أوتي من قوة وعلم ومعرفة.

توصية:

على طالبي العلم والمعرفة أن يتجهوا إلى موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين؛ لينهلوا منها، فهي بحق موسوعة ثقافية، وأدبية، ودينية، وإصلاحية، واجتماعية صالحة للبحث والدراسة في كافة العلوم الشرعية والعربية.

****

المصادر والمراجع

١ الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، تحقيق: علي رضا الحسيني، ط الأولى سنة ١٤٣١ه، ٢٠١٠م٠

٢ انحرافات الحداثيين في تفسير آيات الأحكام، عرض ونقد: د/ فتحي سبّاق أبو سمرة عابد، دار اللؤلؤة للنشر ٢٠٢١م٠

٣ بلاغة القرآن ضمن الأعمال الكاملة للإمام محمد الخَضِر حسين، تحقيق: علي رضا الحسيني، ط الأولى سنة ١٤٣١ه، ٢٠١٠م.

٤ ديوان كعب بن زهير، تأليف: أبي سعيد السكري، دراسة: د/ مفيد قميحة ط: الأولى، سنة ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م،دار الشوّاف- الرياض- المملكة العربية السعودية٠

٥ لسان العرب لابن منظور، الناشر: دار صادر – بيروت، ط: الثالثة – ١٤١٤ هـ٠

٦ المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تأليف العلامة سعد الدين التفتازاني(ت: ٧٩٢هـ)، ح: د/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط:الثالثة، ٢٠١٣م٠

ثانيًا- المجلات:

١- مجلة الهداية الإسلامية الجزء التاسع من المجلد العشرين الصادر في شهر ربيع الأول ١٣٦٧هـ٠

٢- مجلة " لواء الإسلام" العدد الخامس من السنة الأولى الصادر في شهر المحرم ١٣٦٦هـ تشرين الثاني، نوفمبر ١٩٤٧م٠

٣- مجلة" نور الإسلام" العدد الثاني من المجلد الثاني الصادر في صفر١٣٥٠ه٠

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
ملخص البحث	٤٧٢
مقدمة	٤٧٣
مولده ونشأته	٤٧٤
مؤلفاته	٤٧٥
خاتمة	٤٩٧
المصادر والمراجع	٤٩٨
فهرس الموضوعات	٤٩٩